الفصل الخامس

الموت والبعث واليوم الآخر
النعيم والجحيم
في التوراة والقرآن الكريم

عرفت جميع العقائد والديانات الموت باعتباره إحدى القضايا الأساسية التي تمس الإنسان والحيوان والنبات. فكانت لكل عقيدة نظرتها وفلسفتها وقد صاغت كل الشعوب فلسفتها حول الموت من خلال سؤال طرحه الإنسان منذ وجوده الأول وهذا السؤال يقول ما هو الموت؟ لماذا الموت؟.

وتوسع العقل البشري في تساؤلاته حتى صار سؤاله موجهاً نحو ما وراء الموت. كيف ركب الإنسان؟ ما الروح وما الجسد؟ ما علاقتهما ببعضهما؟. ما الذي يفنى وما الذي يبقى؟.

وتصور العقل البشري حياة غير مفهومة للإنسان بعد الموت. فتارة يرى أن هذا الإنسان ينتقل إلى حياة أخرى فلذلك وضعوا معه عند موته الطعام والشراب واللباس وتارة تصوروا أن الروح تنتقل إلى إنسان آخر في بلد آخر فيما سمي بعدئذ بالتناسخ. وقبل سبعة آلاف عام اعترفت ملاحم وأساطير بلاد الرافدين القديمة بفشل الإنسان في قهر الموت. وبعد أن عجز عن النصر اعترف أن سرّ الحياة بقي للآلهة. وأنه عجز عن امتلاكه.

أما الديانات الهندية فرأت أن الجسد وحده يموت أما الروح فهي خالدة. و في نهاية المطاف ستتحد روح الإنسان الصالح بروح الإله.

وقد آمنت أكثر الديانات القديمة بوجود عالم آخر. فحسب عقائد بلاد الرافدين فإن العالم الآخر عالم فظيع تسكنه الأطياف ويهوي إليه الموتى. ويرون في العالم الآخر عالماً سفلياً، مظلماً. ولم يفكروا بخلود الصالحين في جنة نعيم. بل رأوا أن الإنسان ينتقل إلى العالم المظلم ويبقى فيه إلى الأبد. ويتساوى البشر في هذا العالم. الملوك والناس العاديون كلهم سواسية في عالم الموت المظلم.

وقد تميزت عقائد المصريين بتطور مهم في مفهوم الموت وما بعد الموت. فقد آمنوا بالحياة بعد الموت والحساب والنشور والجنة والنار. وأكدوا فكرة الخلود. وللروح شأن مهم في عقائدهم. فهي ذات منفصلة عن الجسم إلا أنها تحل فيه

بشكل متصل ومنقطع. وهي جوهر خالد يشكل صلة الوصل بين الإنسان والإله. وتتصل الروح بعالم الآلهة ما دام الإنسان على قيد الحياة. ويمكن للأرواح أن تتصل بعالم الأحياء بعد الوفاة وتنبئ الأحياء بأسرار المستقبل. وتحذرهم من الأخطار. ويرى المصريون القدماء أن الروح تزور الجسد بين الحين والآخر.

ويرون أن الموت بداية الطريق إلى اليوم الآخر. فإما إلى الخلود والنعيم وإما إلى الجحيم وفي الديانة المصرية آلهة للحساب والميزان. فمن كانت أعماله الصالحة أكثر من سيئاته دخل النعيم وأما إذا كان العكس فإن مأواه الجحيم. وصورت النقوش المصرية الإله أوزوريس وهو يزن قلب الإنسان ليرى ما فيه من خير وشر، وما الذي يزن اكثر من الآخر حتى يجازى صاحبه حسب أعماله.

مفهوم الموت في التوراة والقرآن

يظهر مفهوم الموت في التوراة منذ سفر التكوين أي السفر الأول من هذا الكتاب. وترى التوراة أن آدم حكم على نفسه بالموت عندما خيره الله بين أكل ثمر الشجرة المخلّدة وبين عدم أكلها. واختار آدم أكل ثمرة الشجرة، شجرة المعرفة. فلذلك عصى أمر ربه فطرد من الجنة وأصبح معرضاً للموت.

جاء في سفر التكوين (من جميع شجر الجنة تأكل أكلا. أما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت) التكوين 2: 16-17.

ويرى بعض الباحثين أن اليهودية تركت أمام آدم إمكانية الاختيار بين شجرة معرفة الخير والشر ومعها الموت، وبين شجر الجنة الآخر ومعه الخلود. فاختار المعرفة والموت. وهكذا فقد خلق آدم في البدء غير فان ولا خالد. فاختار الثمر المحرم وعزف عن الخلود وصار فانيا. ومنذ تلك اللحظة تقرر الموت على البشر أي منذ بدء الخلق. وباختيار البشر أنفسهم ممثلين بآدم.

والواقع أن المسألة تأخذ أبعاداً أكثر دقة وأكثر عمقا في القرآن الكريم.

فالآية القرآنية التي تقول: وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة. تشير لنا بوضوح أن الله سبحانه قرر في علمه المسبق أن آدم سيكون في الأرض وليس في الجنة، وأن قصة الخطيئة ليست سوى ربط السبب بالنتيجة. فعلم الله المسبق أمر يختص الله سبحانه به ولكن الخطيئة بشرية أي أن الإنسان الأول مال نحو عصيان أمر الله فأنزل إلى الأرض. صحيح أن آدم اختار الطريق الذي سيؤدي به إلى النزول إلى الأرض والموت. ولكن آدم نفسه لم يختر الطريق عن علم وإرادة بل اختاره عن جهل بالمصير وقد تناسى وتجاهل تحذير الله سبحانه.

وبعيدا عن الخوض في هذه المسألة الشائكة بين العلماء والمتكلمين والفلاسفة المسلمين نعود لمسألة الموت كما بيّنها الله سبحانه في القرآن الكريم.

فالموت نهاية كل حي. نهاية من يحمل في تركيبه الجسدي عناصر فنائه. ولا خلود لمخلوق. فالله سبحانه هو الخالد الباقي.

يقول تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 26ـ 27]. وقد وردت كلمة الموت ومشتقاتها في القرآن الكريم 161 مرة.

ولو نظر الإنسان بشكل دقيق في طبيعة الحياة والموت لأدرك أن المخلوق في أساسه كان في عالم الموت. ثم أحياه الله في رحم أمه. ثم خرج إلى الدنيا ثم توفاه الله. فالحياة في هذا الإطار دورة إنسانية متكاملة.

يقول تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28]. فالموت حتمية المخلوق. والإيمان بهذه النهاية من مستلزمات الإيمان للإنسان المسلم. فمن ينكر الموت ينكر الواقع وينكر هذه الحتمية. وبالتالي هو ينكر عنصراً من عناصر الإيمان بالله. لأن الموت بداية لليوم الآخر ونهاية للوجود الدنيوي.

لقد تحدثت آيات كثيرة عن حتمية الموت، وذلك لتجعله يقينا أمام عين وبصيرة الإنسان يقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً

وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35]. فلا خلود لنفس مخلوقة مهما كانت درجة صاحبها من النبوة أو الملك. فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليسوا خالدين باعتبارهم بشرا مخلوقين وهم أقرب الناس إلى الله سبحانه وتعالى فكيف بالناس العاديين؟.

يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: 34] والموت باعتباره حتمية لكل مخلوق فلا حواجز تمنعه ولا حصون ولا تحصين.

يقول تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: 78] وقد عُرف بعض الأقوام كالدهريين الذين قالوا إن الموت نهاية المطاف، ولا شيء بعده. يقول تعالى واصفاً إياهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: 24].

فاعتقادهم بأن الموت نهاية لا شيء بعده، لم يأتهم عن علم، لأنهم وغيرهم لم يروا أو يحسوا بما بعد الموت، فقولهم هذا، ليس إلا من قبيل الظن والتخمين وقصر النظر. وقد كانت حجتهم عندما يرفضون الإيمان بآيات الله ـ أن أرجعوا لنا آباءنا ـ.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الجاثية: 25].

وقد تساءل الناس عن كنه الموت فلم يجدوا جواباً. وقد حير الموت المفكر والإنسان العادي. وقد كان أكثر الناس تساؤلا الذين كذبوا الأنبياء ورفضوا الإيمان بالله وبوحدانيته.

وقد أورد القرآن الكريم قصص هؤلاء مع أنبيائهم الذين دعوهم للإيمان بالله سبحانه فرفضوا وكانت حججهم بأن أخبار آبائهم والأولين انقطعت عنهم

فماذا يمكن أن يقنعهم طالما أن أحداً لم يعد إلى الدنيا بعد موته؟.

وطالما أن الله سبحانه هو الخالق الناشئ فهو القادر على الموت والحياة بعد هذا الموت، وقد وردت آيات كريمة كثيرة تشير إلى هذا الأمر.

أما تساؤل الإنسان عن الموت وإحياء الموتى فقد ورد في آيات كريمة أخرى.

يقول تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: 66-67].

وما من نبي إلا وتعرض لجدال قومه حول مسألة الموت. وقد ارتبط ـ كما نعرف ـ مفهوم الموت بمفهوم البعث والحساب ويوم القيامة. وهذا الأمر كان وما يزال من أهم الأمور التي تشغل الإنسان. فلذا نجد الأقوام التي بعث إليها الأنبياء تساءلت عن الموت وكذّبت رسلها.

لننظر إلى قوله تعالى: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: 35 ـ 37].

وقد وصف القرآن الكريم عنادهم وإصرارهم على رفض البعث بعد الموت.

يقول تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: 38].

وتؤكد الآيات الكريمة أن النفس التي أراد الله موتها لا يتقدم وقتها ولا يتأخر. فهي معرَّضة للموت نهارا وليلا وكل الأمر عائد إلى الله سبحانه.

يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: 42].

أما الأرض فقد قضى الله سبحانه أن بني البشرية سيحيون فيها ثم يموتون فيها ثم يبعثون منها.

يقول تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف: 24ـ 25].

وتؤكد الآيات أيضا أن الله سبحانه يرسل ملائكته حفظا للبشر حتى إذا قضى على الإنسان بالموت جاءته الملائكة بأمر الله وتوفته. يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: 61].

وقد كان الإيمان بحتمية الموت راسخا لدى الأنبياء، خاصة وهم يجادلون أقوامهم في هذا الشأن، وقد جاءت تعاليم الله واضحة لأنبيائه في ذلك.

يقول تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: 42ـ 44].

يقول تعالى في قصة جدال إبراهيم مع من كفر بربه: ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة: 258]. ويقول تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران: 156].

ويقول تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: 158]. ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة: 116].

وقد وصف الله سبحانه في كتابه العزيز شدة الموت في أربع آيات:

يقول تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾ [ق: 19].

يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأنعام: 93]

ويقول تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾ [الواقعة: 83].

ويقول تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴾ [القيامة: 26].

إن هذه الآيات الكريمة تؤكد شدة الموت على الإنسان. فنزع الروح التي رافقت هذا الجسد منذ ولد حتى الموت تنسل منه انسلالاً ولا يستطيع عقل تصور ذلك من خلال تصوره أو تخيله. ولا يعرف هذا الإحساس إلا من وقع فيه أي إلا من دنت منيته وأخذ في النزع. أما الموت في عقيدة التوراة فهو لا يرتبط بثواب أو عقاب. إذ أنّه كما يتضح في نصوص التوراة ليس إلا نهاية الإنسان الحي ونهاية كل حي وفي المنظار الظاهري فإن الموت نهاية لهذا الجسد. ولم يكن التوراتيون على يقين بأن الموت مرحلة، وهذه المرحلة لا بد لها من مرحلة قادمة.

وبسبب عدم التعمق التوراتي بمسألة الجسد والروح فقد أشارت نصوصهم إلى الروح بأنها كانت منفصلة عن الجسد. وتارة يعتبرون أن الروح تدخل الدم. فإذا ما فقد الإنسان دمه فقد روحه. وجاء في التوراة: (وكل إنسان من بيت إسرائيل ومن الغرباء النازلين في وسطكم يأكل دما أجعل وجهي حدّ النفس الآكلة الدم وأقطعها من شعبها لأن نفس الجسد هي في الدم) لاويين 10:17ـ 11.

وجاء أيضاً: (لأن نفس كل جسد هي دمه كل من أكله يقطع) لاويين 17: 14 وهناك إشارات في بعض أسفار التوراة إلى أن الإنسان عندما يموت يرجع جسده الترابي إلى التراب وتعود الروح إلى الله. جاء في التوراة: (فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها) سفر الجامعة 12: 7.

وفي سفر الجامعة كلام للنبي داود عليه السلام يشير فيه إلى الحياة والفناء للفرد والمجموعة.

يقول: (ما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذي يتعبه تحت الشمس) جامعة: 1: 3.

(ليس ذكر للأولين. والآخرون أيضاً الذين سيكونون لا يكون لهم ذكر عند الذين يكونون بعدهم) الجامعة 1: 11.

ويرد في هذا السفر أيضاً قول التوراة على لسان داود: (لأن يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة. وحادثة واحدة لهم. موت هذه كموت ذاك ونسمة واحدة للكل. فليس للإنسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل يذهب كلاهما إلى مكان واحد. كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما) جامعة: 3: 19 ـ 20.

ويقول: (من يعلم روح بني البشر هل هي تصعد إلى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل إلى الأسفل إلى الأرض فرأيت أنه لا شيء خير من أن يفرح الإنسان بأعماله لأن ذلك نصيبه) جامعة 3: 21 ـ 22.

فهذه النصوص تؤكد حتمية الموت كما يراها داود والأنبياء عليهم السلام. وتوضح أن التراب مصير كل جسد إنساناً كان أو بهيمة. وهذه المعاني نجدها في القرآن الكريم واضحة في عشرات الآيات القرآنية.

ويرى النبي داود في سفر الجامعة أن (يوم الممات خير من يوم الولادة) جامعة 7: 1 فالموت راحة للإنسان والحياة تعب وعناء.

ومع ذلك فإن النهاية التي ترد في التوراة تتوقف عند الموت فحسب.

تقول التوراة على لسان النبي داود: لكل الأحياء يوجد رجاء فإن الكلب الحي خير من الأسد الميت. لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون أما الموتى فلا يعلمون شيئاً وليس لهم أجر بعد لأن ذكرهم قد نسي. ومحبتهم وبغضهم وحسدهم هلكت منذ زمان ولا نصيب لهم بعد إلى الأبد في كل ما عمل تحت الشمس) جامعة 9: 4 ـ 6.

فإذا أخذنا هذا الحكم في الموت على محمل الحياة الدنيا فإن الإنسان ينقطع عن الحياة إذا مات. وبالموت لم يعد له مجال لعمل الخير ونبذ الشر. وهذا ما يتوافق مع النظرة الإسلامية في ذلك.

أما إذا أخذنا المسالة على محمل ما بعد الموت سنجد أن القرآن الكريم يوضح أن الأموات إن عملوا صالحاً في دنياهم فإنهم سيجدون نعيماً خالداً. وهو في كل الأحوال أفضل مما في الدنيا.

يقول تعالى: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ [الضحى: 4].

يقول تعالى: ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [الأعلى: 17].

ويختلط مفهوم الموت بمفهوم القبر عند التوراتيين. ولكن المفهوم يبقى غامضاً حيث نرى أن القبر ليس سوى نهاية. وهو الهاوية.

جاء في التوراة: (لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي. جسدي أيضاً يسكن مطمئناً لأنك لم تترك نفسي في الهاوية) مزامير 16: 9.

جاء في التوراة أيضاً: (مثل الغنم للهاوية يساقون. الموت يرعاهم ويسودهم المستقيمون غداة وصورتهم تبلى. الهاوية مسكن لهم إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني) 49: 14 ـ 15.

فهذه النصوص تقر بالموت وتخرج من دائرة المنظور إلى دائرة الإحساس بالحتمية حتمية الموت. وباعتبار أن المزامير تنسب إلى النبي داود فقد جاء الإحساس بالموت مختلفاً وهذا ما يجعل المرء يتوقف عند هذه النصوص لأنها تعبر عن نفس مختلف عما كتب في أسفار أخرى في التوراة.

فعلى الرغم من أن الفقرات التي وردت تشير إلى حتمية الموت إلا أن بعضها يشير إلى اطمئنان غير عادي للمصير. فالنبي داود عليه السلام يقول: إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني. وعلى الرغم من غموض الخلفية إلا أن قناعة الإيمان بالله تصل عنده إلى حدود أن الله سيأخذه. وإذا حملنا المسألة على محمل التأويل أو التفسير فإن الله سيأخذه في ملكوت الخلد والنعيم والرضا الإلهي.

إن هذا يقودنا للحديث عن مفهوم البعث بشكل واسع في القرآن الكريم وفي التوراة فهل الموت نهاية كل حي؟ هل تبقى الأجساد في الأرض؟ هل تفنى ولا

تعود؟ ما معنى البعث والنشور وقيامة الأموات؟ ما معنى يوم القيامة؟ وكثيرة هي الأسئلة التي تدور حول ذلك. وما أكثر أجوبة القرآن الكريم عليها.

في التوراة نرى كثيراً من النصوص التي تناقض مفاهيم بعضها بعضاً. فالموت عند بعض الأنبياء والشخصيات الدينية الوارد ذكرها في التوراة هو تلاش وفناء ولا عودة ولا بعث. وعند بعضهم نشور، قيامةٌ وبعث من عالم الأموات، ويبدو دوما أن مدوِّني التوراة خضعوا بشكل ما إلى مؤثرات نفسية واضحة، انعكست على اللغة والمفاهيم ونبعت من قناعات شخصية للمدوِّنين.

وعندما نلاحظ ما ورد في سفر أيوب مثلا نرى أن الشعور بالعدم يسيطر عليه فالموت ظلمة ورطوبة وعفونة ويأس من كل شيء.

جاء في التوراة: (هذا يموت في عين كماله. كله مطمئن وساكن. أحواض مملوءة لبنا. ومخ عظامه طري. وذلك يموت بنفس مرة. ولم يذق خيرا، كلاهما يضطجعان معا في التراب والدود يغشاهما) أيوب 21: 22ـ 26.

وفي يأس عارم يجتاح أيوب في التوراة يقول: (الإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعبا يخرج كالزهر ثم ينحسم، ويبرح كالظل ولا يقف، فعلى مثل هذا حدقت عينيك وإياي أحضرت إلى المحاكمة معك. من يخرج الطاهر من النجس. لا أحد إن كانت أيامه محدودة وعدد أشهر عندك. وقد عينت أجله فلا يتجاوزه فأقصر عنه ليسترح إلى أن يسر كالأجير بانتهاء يومه) أيوب 14: 1ـ 6.

ويقول: (هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد لا يرجع) أيوب 7: 9ـ 10.

وحسب قول التوراة المدونة فإن أيوب يرى في الموت ظلمة أبدية لا غير. تقول: إلى أرض ظلمة، وظل الموت، أرض ظلام مثل دجى ظل الموت. وبلا ترتيب وإشراقها كالدجى). أيوب 10: 21.

ويتساءل أيوب: أما الرجل فيموت ويبلى. الإنسان يسلم الروح فأين هو قد تنفذ المياه من البحرة والنهر ينشف ويجف والإنسان يضطجع ولا يقوم ولا

يستيقظون حتى لا تبقى السماوات ولا ينتبهون من نومهم) أيوب 14 : 10ـ 12 .

وتورد التوراة بعض الفقرات في سفر الجامعة تدفع الإنسان لإشباع رغباته الدنيوية قبل أن يموت ويفنى تقول : (كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأن ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها) الجامعة 9 : 7ـ 10 .

وتكثر مثل هذه النصوص في المزامير 6 و15 و88 وسفر الجامعة وجميعها تشير بشكل واضح إلى أن النهاية في الموت والتراب .

تقول التوراة : (عد يا رب نج نفسي . خلصني من أجل رحمتك لأنه ليس في الموت ذكرك في الهاوية من يحمدك) مزمور 6 : 4ـ 5 .

وتقول : (ليس الأموات يسبحون الرب ولا من ينحدر إلى أرض السكوت) مزمور 115ـ 17 .

وتقول : (أفلعلك للأموات تصنع العجائب؟ أم الأخيلة تقوم تمجّدك سلاه . هل يحدّث في القبر برحمتك أو بحقك في الهلاك . هل تعرف في الظلمة عجائبك وبرّك في أرض النسيان) مزمور 88 : 10ـ 11 .

وكثرة استعمال لفظة الهاوية تدل على استفادة كتبة التوراة كثيرا من الأسطورة البابلية جلجامش . ومن أساطير الكنعانيين . وفي كلا النمطين من الأساطير هاوية وأرض ظلمة ورطوبة وما إلى ذلك .

وتأتي بعض المقاطع التي تشير إلى يوم القيامة وأهوالها . ولكنها بالقياس لما يرد عن الهاوية ونهاية الإنسان والموت تشكل حساً ضعيفاً جداً بالبعث والنشور وذلك بسبب قلتها بل ندرتها في التوراة .

ففي اشعيا يرد : (تحيا أمواتك تقوم الجثث ، إستيقظوا ترنحوا يا سكان التراب) 26 : 19 .

ويرد أيضا : (وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون . هؤلاء إلى

الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي) دانيال 12 : 2.

واذا عرفنا أن دانيال من أنبياء التوراة في السبي البابلي أدركنا مدى التطور الذي حدث في العقيدة اليهودية. أو على الأقل مدى التطور الذي حدث لدى الأنبياء. وقوله هؤلاء إلى الحياة الأبدية. وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدي يذكرنا بتأكيد القرآن الكريم على أن المؤمنين هم خالدون في النعيم. بينما الكافرون خالدون في الجحيم. وقد ورد ذلك مرارا في القرآن الكريم.

إن الإشارات التي وردت عن قيام الأموات من الأرض تبقى في إطار الإشارات ولم تدخل في تفاصيل دقيقة كما وردت في القرآن الكريم.

وهناك شاهد واحد ورد في سفر الجامعة يصف بعض معالم يوم القيامة من أحد الجوانب، ونرى فيه الربط بين التوجيه الديني باستغلال الوقت في التقوى وعبادة الله قبل أن يأتي ذلك اليوم. ومن المعروف أن سفر الجامعة جاء على لسان داود عليه السلام.

تقول التوراة: (فاذكر خالقك في أيام شبابك قبل أن تأتي أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس لي فيها سرور. قبل ما تظلم الشمس والنور والقمر والنجوم وترجع السحب بعد المطر. في يوم يتزعزع فيه حفظة البيت وتتلوى رجال القوة وتبطل الطواحين لأنها قلت. وتظلم النواظر من الشبابيك. وتغلق الأبواب في السوق. حين ينخفض صوت المطحنة ويقوم الصوت العصفور وتحط كل بنات الغناء. وأيضا يخافون من العالي. وفي الطريق أهوال واللوز يزهر والجندب يستثقل والشهوة تبطل لأن الإنسان ذاهب إلى بيته الأبدي. والنادبون يطوفون في السوق. قبل ما ينفصم حبل الفضة أو ينسحق كوز الذهب أو تنكسر الجرة على العين أو تنقصف البكرة عند البئر فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها) الجامعة 12 : 1ـ7.

فهذا المقطع الذي لا شبيه به في التوراة يتقاطع بشكل كبير مع ما ورد في

القرآن الكريم وفي كثير من السور والآيات الكريمة، بما يخص وصف يوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ [التكوير: 1ـ 4].

ويقول تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾ [القيامة: 7ـ 10].

ويقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: 2].

وإذا عدنا إلى آيات القرآن الكريم وجدنا الكثير من الآيات التي تشير بوضوح إلى بعث الناس من القبور إلى يوم الحشر.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ [الانفطار: 4ـ 5].

ويقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ [العاديات: 9].

ويقول تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ [الحج: 7].

فبداية الأمر بعد الموت الطويل هو بعثرة القبور وخروج من فيها إلى قضاء الله.

وقد تساءل الكفار والذين خامرهم الشك في الإيمان بالله واليوم الآخر بأن هناك بعثاً وقيامةً بعد الموت. ويظهر جليا أن مقياسهم في ذلك هو مقياس مادي محسوس فما لم يحسّونه أو يشاهدونه فلا يؤمنون به.

يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا

وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: 80ـ 83].

ففي ميزان المادية ومقياس الحس البشري المحدود اعتبروا أن البعث والعودة من الموت إن هو إلا خرافة وكلام ليس له أساس من الصحة. ويستشهدون على ذلك بقولهم إن آباءهم وُعدوا بالعودة كما وُعدوا هم فلا عاد آباؤهم ولن يعودوا هم وهذا هو المقاس الضيق الذي قاسوا فيه الموت والبعث والحياة.

ويقول تعالى إشارة إلى ذلك: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱئْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: 25ـ 26].

وقد رأى الإنسان العظام الآدمية قد نخرت ثم تباعدت أجزاؤها. فتساءل سؤاله الأكبر. هل يعقل أن تجمع العظام مرة أخرى ويبعث أصحابها للحساب؟.

يقول تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء: 49].

ويقول تعالى: ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴾ [النازعات: 10ـ 11].

ويقول تعالى: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾ [المؤمنون: 35].

ويقول تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ [القيامة: 3].

ويقول تعالى: ﴿ قَالُوٓا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [المؤمنون: 82].

وهذا التساؤل المتكرر قابله رب العالمين بأجوبة عقلية فيها الحوار العقلي

المقنع الذي لا يدع مجالا للشك في يوم البعث أو جمع العظام وإنشائها من جديد.

ويقول تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: 79].

ويقول تعالى: رداً على تساؤلاتهم في سورة المؤمنون: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [84 ـ 85].

ويقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: 39].

ويقول تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴾ [الحج: 66].

ويقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم: 40].

وعندما يصف القرآن الكريم البعث والنشور يفصل في الوصف حتى لتصبح المشاهد وكأنها محسوسة مرئية أمام الناظر.

ويوضح القرآن الكريم البدايات كما يوضح النهايات. وتقريباً للذهن البشري تورد بعض الآيات صوراً لمجريات قد أحس بها الإنسان إحساسا مادياً.

يقول تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [الزلزلة: 1ـ 6].

ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: 1ـ 2].

ويقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: 1ـ 5].

ويقول تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: 1ـ 5].

ويقول تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: 21].

ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: 33ـ 37].

فهناك مظاهر ترتبط بالطبيعة. فلا الجبال تبقى جبالا. ولا السماء تبقى سماء وكذلك كافة معالم الأرض والكون المادي تتغير وتنقلب.

وهناك مظاهر ترتبط بالإنسان. فالأجداث تخرج من القبور. ويتساءل الإنسان عما بعثه وعمن بعثه ولم يخرج مرة أخرى إلى الحياة؟.. وبعد هذا الاندهاش والانبهار والتعجب ينتشر الناس ملايين ملايين كل منهم يبحث عن مصيره، عن شأنه الخاص الذي يعنيه ولا يعني غيره. فأقرب الناس إليه لا يعرفهم أو لا يتعرف ولا يريد أن يتعرف عليهم. فلا نفس تغني عن نفس شيئا.

ولهول هذا اليوم لا تستطيع المرأة الحامل تحمّل مشاهده، فتُسقط لو شاهدته، وتنهار. أما الناس فهم كالمخمورين يترنحون من هول الصدمة، وعظمة ما يشاهدون، من مظاهر لم يألفوها. ولم يعهدوها في حياتهم الدنيا، بهذه العظمة وهذه المشاهد. وقد أفرد سيد قطب كتابا خاصا بعنوان مشاهد القيامة في القرآن الكريم. عرض فيه كافة تلك المشاهد الأخروية وذلك من خلال سور عديدة في القرآن الكريم. وقد سبقه إلى الكتابة في مثل ذلكالسلف الصالح من العلماء المسلمين البارزين وكذلك من جاء بعدهم. وأبرزهم كان الإمام القرطبي

الذي كتب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة وابن القيم الجوزية في كتابه الروح. وغيرهما الكثير الكثير.

استطراد

يمر معنا في بعض أسفار التوراة نصوص لأنبياء بني إسرائيل تشير إلى يوم عظيم هو أشبه بيوم القيامة. ولا يستطيع المرء أن يجزم أن هذه الإشارات ليوم القيامة، لأن ما فيها أيضاً يشير إلى خصوصية هذا اليوم لبني إسرائيل، وإله بني إسرائيل. ولذلك يحار المرء في هذه الأوصاف، ولا يستطيع الجزم بها ومثل ذلك ما يقوله إشعيا: (هو ذا الرب يخلي الأرض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد سكانها.) إشعيا 24: 1ـ 2.

ويقول: (ويكون أن الهارب من صوت الرعب يسقط في الحفرة. والصاعد من وسط الحفرة يؤخذ بالفخ. لأن ميازيب من العلاء انفتحت وأسس الأرض تزلزلت، انسحقت الأرض انسحاقاً. تشققت الأرض تشققاً. تزعزعت الأرض تزعزعاً. ترنحت الأرض ترنحاً كالسكران وتولولت كالعرزال. وثقل عليها ذنبها فسقطت ولا تعود تقوم) إشعيا 22: 18ـ 20.

وإلى هذا الحد من النص نرى التوافق كبيراً بين ما قاله القرآن الكريم وما قاله النبي إشعيا في التوراة.

ثم يتابع القول: (ويكون في ذلك اليوم أن الرب يطالب جند العلاء في العلاء. وملوك الأرض على الأرض. ويجمعون جميعاً كأسرى في سجن. ويغلق عليهم في حبس ثم بعد أيام كثيرة يتعهدون ويخجل القمر وتخزى الشمس لأن رب الجنود قد ملك في جبل صهيون وفي أورشليم وقدام شيوخه مجد) إشعيا 24: 21ـ 23.

ويقول متابعاً: (ويقال في ذلك اليوم هو ذا إلهنا انتظرناه فخلّصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه. لأن يد الرب تستقر على هذا الجبل. ويداس موآب في مكانه كما يداس التبن في ماء المزبلة. فيبسط يديه كما يبسط

السابح ليسبح فيضع كبرياءه مع مكايد يديه. وصرح ارتفاع أسوارك يخفضه يضعه يلصقه بالأرض إلى التراب) إشعيا 25: 9ـ 12.

ونبوءات إشعيا تقترب جميعها من هذا الخط النبوي. فهي تحذر من يوم قادم. هوله عظيم. ومعالمه شديدة التغيير قياساً بما شاهده بنو البشر.

لكن الملاحظ أن كتبة التوراة يخلطون ما هو مرتبط بيوم القيامة بيوم خاص لإلههم وتجلياته على جبل صهيون.

ويطالعنا مثل ذلك في نبوءات دانيال، وقد أشرنا إلى ذلك في صفحات سابقة حيث يقول: (في ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك، ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت. وفي ذلك الوقت ينجَّى شعبك كل من يوجد مكتوباً في السفر، وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي. والفاهمون يضيئون كضياء الجلد والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور) دانيال 13: 1ـ 3.

ولا تبتعد نبوءات بني إسرائيل كثيراً عما استقاه المسيحيون البروتستانت الذين فسروا التوراة تفسيراً حرفياً.

فهم يعتقدون أن حرباً كونية ستقع يطلقون عليها (هرمجدون) يقاتل فيها الرب ضد الكفار وينزل المسيح المنتظر ويقيم مملكة الله على الأرض. ويرون أن أنسب مكان لقيام حرب هرمجدون هو (فلسطين).

وتقضي النبوءة الإنجيلية بأن على اليهود أن يدمروا المسجد الأقصى ويبنوا الهيكل مكانه وذلك تمهيداً لبناء مملكة الله على الأرض[1]

---

(1) النبوءة والسياسة. غريس هالسل. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. ومجلة رسالة الجهاد الليبية. ترجمة محمد السماك.

وفي التلمود نصوص تشير بشكل ما إلى الجحيم والنعيم وليس إلى يوم البعث والقيامة تحديداً.

ويرى اليهودالسامريون أنّ في توراة موسى نصاً على يوم القيامة. وأن العبرانيين حرفوه إلى يوم جزاء. قد يكون يوم القيامة وقد يكون يوماً من أيام هذه الحياة الدنيا. وهذا النص موجود في سفر التثنية بقوله: (أليس ذلك مكنوزاً عندي. مختوماً عليه في خزائني في النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم) تثنية 32: 34.

يقول التلمود: (النعيم مأوى الأرواح الزكية. ومأكل المؤمنين في النعيم هو لحم زوجة الحوت المملحة كما علمت. ويُقدَّم لهم أيضاً على المائدة لحم ثور بري كبير جداً كان يتغذى بالعشب الذي ينبت في مئة جبل.

ويأكلون أيضاً لحم طير كبير لذيذ الطعم جداً ولحم إوز لذيذ للغاية. أما الشراب فهو من النبيذ اللذيذ القديم المعصور ثاني يوم خليقة العالم.) سنهدرين ص 8.

ولا يدخل الجنة إلا اليهود. أما الجحيم فهو مأوى الكفار، ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين.

ويرى التلمود أن الجحيم أوسع من النعيم ستين مرة لأن الذين لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم كالمسلمين والذين لا يختنون كالمسيحيين. الذين يحركون أصابعهم (يفعلون إشارة الصليب) يبقون هناك خالدين[1].

أما في القرآن الكريم وضوح للجحيم والنعيم. وتكثر الآيات الكريمة في الحديث عنهما.

تشير الآيات الكريمة أن الله سبحانه يأمر بالنفخ في الصور فيقوم الناس جميعاً من القبور متسائلين عن هذا اليوم العظيم. وتوضع موازين القسط في

---

(1) الكنز المرصود في قواعد التلمود. ترجمة د. يوسف نصر الله. صفحة 68ـ69 دار القلم. دمشق ط1 1987.

محكمة إلهية لحساب بني البشر على أعمالهم فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته أدخل الجنة ومن كان كافراً يدخل النار.

وفي الحديث عن الجنة والنار هناك مئات الصور الحسية حول ذلك. وهناك أمور غيبية لا يعلمها إلا الله سبحانه وقد أشار لها في آيات القرآن الكريم.

ويمكن أن نجمل بعض الصور الحسية والغيبية فيما يلي :

1 ـ خلود أهل الجنة بما عملوا من حسنات وخلود أهل النار بما عملوا من سيئات.

2 ـ في النعيم كل ما لذ وطاب وكل راحة نفسية وروحية وفي الجحيم أصناف من العذاب كثيرة ومتنوعة.

3 ـ لا تحمل نفس ذنب نفس أخرى فكل نفس بما كسبت رهينة. ولا تزر وازرة وزر أخرى.

4 ـ دخول الجنة تصديق لوعد الله الذي وعده في الحياة الدنيا وكذلك الجحيم.

وهناك من الجزئيات الكثير فيما يتعلق بالنعيم والجحيم وقد أتت على ذكرها بعض الكتب الإسلامية وقد أشرنا إلى بعضها ككتاب مشاهد القيامة في القرآن الكريم. والتذكرة وغيرها....

وقد خلت التوراة من التفصيل فيما يرتبط بالجحيم والنعيم. بل هناك غموض كامل حولها وقد ربطت بعض نصوص التوراة العمل الحسن بطول العمر في الدنيا فلا جنة ولا جزاء على فعل الخير.

ففي الوصية التي هي أكرم أباك وأمك قرنت الطاعة بوعد طول الحياة فحسب ولا جزاء من الله في يوم الآخرة.

وقد وصفهم القرآن الكريم بأنهم أحرص الناس على الحياة الدنيا بسبب قلة إيمانهم بل كفرهم بالله ويوم الآخرة.

يقول تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ

فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: 94ـ 95].

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: 96].

ويقول تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: 111].